أسس التربية والتعليم في فكر الشهيد الثاني

الأستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم
جامعة الكوفة / كلية الآداب

للعلامة الكبير زين الدين بن علي بن احمد الجبعي العاملي، المستشهد عام ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م، والمعروف بالشهيد الثاني أراء تربوية وصايا تعليمية، أودعها في مؤلفاته ورسائله ومنها في كتابيه (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) وكتابه (الدراية) وان الباحث والدارس لهذين الكتابين يجد فيهما وصايا الشهيد الثاني لطلابه تنص على الجانب التربوي والأخلاقي فهو قد رسم فيهما أصول العلاقة فهو قد رسم فيهما أصول العلاقة بين الطالب الذي يتلقى علومه عن شيخوخة وبين اساتذته بقوله (ان يكون له مشايخ عصره كثر بحث وطول اجتماع وزيادة ممارسة وثناء منهم على سمته وخلقه وبحثه ويتحرز ممن اخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءته على الشيوخ خوفاً من وقوعه في التصحيف والغلط والتحريف) [١].

وقد حدد الشهيد الثاني في هذا النص التربوي ،صلة الطالب العلمية بأستاذه وقد حددها بنقاط ثلاث وهي :

١. كثرة البحث
٢. طول الاجتماع
٣. زيادة الممارسة

وقد أراد الشهيد الثاني من طلابه الاقتداء بشيوخهم في البحث العلمي والتتبع المعرفي، والسير على مناهجهم في التربية والتعليم والأخلاق والاجتماع وقد حذر من الوقوع في الهفوات والأخطاء والاعتماد عل الروايات غير الصحيحة والموضوعة المنبثة في الكتب والمصادر وعلى الطالب النبية الحاذق فحص الروايات بدقة واستخراج السليم منها، والمتفق على صحتها، والاستعانة بذوي الخبرة من المشايخ الذين لهم القدرة على تفسير النصوص والتأشير على الأخطاء وقد ركز على الطلبة المبتدئين في الدراسة والتحصيل العلمي، وقد أوضح الشيخ محمد بن علي العودي (تلميذ الشهيد الثاني) خطوات استاذه العلمية والمعيشية بقوله: (انه كان ينقل الحطب على حمار في الليل لعياله، ويصلي الصبح في المسجد، ويشتغل بالتدريس بقية نهاره)[٢]، و وصف أستاذه بأوصاف علمية لم نجدها الا في النوادر من الرجال، فهو إذا جلس للبحث والتدريس فانه يتفجر العلم من جوانبه (كانه البحر الزاخر) وان

مباحثه العلمية، وتحريراته الفكرية، وأرائه النقدية قد غفل عنها العلماء الذين سبقوه من (الأوائل والأواخر) [٣].

وقد يذهب بعض الباحثين إلى أن في هذه الأوصاف مبالغة وغلو في شخصية الشهيد الثاني، ولكن المتفحص في سيرته العلمية يؤكد هذه الحقيقة، وقد أشار إليها العلامة الشيخ محمد جواد مغنية بقوله: (فان الذي يطلع على سيرته يحسبها من نسيج الخيال، لو قيست بسيرة من تعرف من الشيوخ بخاصة شيوخ هذا الزمان) [٤] وكان الشهيد الثاني حريصا على أوقات الدراسة والتحصيل العلمي في محاولة لنقل الطالب إلى مرحلة جديدة من حياته الدراسية، فان لابد لطالب العلم الحصول على صفتين أساسيتين هما [٥]:

١. الحفظ
٢. الكتابة

وقد طالب الشهيد الثاني من تلاميذه الابتعاد عن (الملهيات) اذا ارادوا التعمق في العلوم، لان ذلك يوصل الطالب الى درجة الاجتهاد ولكنه حذر من الاجتهاد المرتبط بالخطا فيقول : (من تكلم في القران برايه فاصاب فقد الخطاء)[٦] لان تفسير القران الكريم يحتاج الى دقة في التعبير، وعمق في التفكير، وسعة في التحصيل واطلاع على المصادر، وقد استشهد في الحديث النبوي: (من قال في القران بغير علم فليتبوء مقعده من النار).

وان الآراء التربوية والعلمية التي اوردها الشهيد الثاني وغرسها في أعماق تلاميذه جعله في قمة الرواد في هذا الجانب، فيقول الأستاذ الدكتور عبد الله فياض: ان الشهيد الثاني من القلائل الذين كتبوا في حقل التربية عند الأمامية [٧] وان نصائحه لتلاميذه تؤكد هذه الريادة في الفكر الأمامي، فانه قد أكد على الحفظ الجيد عن طريق تكرار الموضوع[٨] واراد الشهيد الثاني تعميق المفردة العلمية في ذهنية الطالب وتصبح وسيله للوصول الى درجة الاجتهاد، وهذا مما جعل تلاميذ الشهيد ينكبون على مؤلفاته ويدرسونها بدقة لكي يفهموا محتوياتها ومضامينها، ووعند ذلك يسهل عليهم شرحها، كما قام به السيد علي الصائغ بشرح كتاب (الإرشاد) [٩] وحاول الشهيد الثاني تاسيس منهجية علمية دقيقه قائمة على البحث والتتبع بقوله: (ومن علم انساناً مسالة ملك رقه) [١٠] وهذا مما جعله يمنح بعض تلاميذه اجازة علمية بالرواية [١١] . بعد ان يستكمل الطالب جميع متطلبات البحث العلمي، وحصوله على درجة الاجتهاد، دون مراعاه لمقام هذا، او منزله ذاك، وانما كان يتعامل مع طلابة على المساواة، فكان اذا اجتمع بهم اصبح لاحدهم، ولم تمل نفسه الى التمييز بشئ عنهم [١٢] . وقد حذر الشهيد الثاني طلابه تقليد المشهورين من الرجال في أرائهم وأطروحاتهم وإنما أراد زرع الثقة في نفوسهم حتى يصلوا إلى مراتب هؤلاء الأعلام، وأراد من طلابه دراسة العلوم والفنون والآداب، وفق منهجه العلمي، أذانه كان يفتي أهل كل مذهب بما يوافق

مذهبهم [١٣]، وقد أراد التغلغل في أراء مذاهب المسلمين لأجل المقارنة الفقهية من جانب والتقريب بين المسلمين، وقد التفت الشهيد الثاني منذ القرن العاشر الهجري، الموافق للقرن السادس عشر الميلادي إلى أهمية دراسة الفقه المقارن، والتقريب بين مذاهب المسلمين، وهذا ما تدعو إليه المؤسسات التوفيقية في العالم الإسلامي في الوقت الحاضر.

وكان الشهيد الثاني نموذجا للفقيه الذي يجمع بين العلوم الشرعية والدينية، وبين العمل المهني، فقد كان يعمل من كد يمينه، ويأكل من عرق جبينه، فانه قد عاش فقيرا كما يعيش العامل والفلاح [١٤]، فان وضعه الاقتصادي المتواضع لم يكن حائلا من تحصيله العلمي، وتعدد مواهب الفكرية في علوم الهيئة والحساب والهندسة ،إلى جانب التفسير والحديث والفقه والأصول، فان هذا التراكم المعرفي قد أوصلة إلى قمة الإبداع، وقد سبق الأنداد والإفراد، وإذا تكلم في علم الأوائل، فانه يهيج الأذهان والألباب، وانه قد ولج منها كل باب[١٥]، وهذا مما جعل تلاميذه يلاحقونه في كل مكان ويستمعون إليه في العلوم العقلية والنقلية، ويصطحبونه في أسفاره ورحلاته، وكان أينما حل في مكان فانه يوثق مشاهداته ويدون كل شاردة وواردة، وان ظاهرة التوثيق لها أهمية بالغة في البحث العلمي، لان توثق المعلومات باليوم والشهر والسنة وقد اقتفى طلابه هذه المنهجية العلمية الدقيقة .

وكانت انجازات الشهيد الثاني لطلابه عبارة عن شهادات تقريب من الشهادات الجامعية في حياتنا الحاضرة، فهي إذن وتسويغ من الشيخ لمن يبيح له الرواية عنه، وتكون بهذا المعنى طريقة من طرق نقل الحديث وتحمله من الشيخ إلى من أباح له نقل الحديث عنه [١٦]، ويقول الشهيد الثاني : اجز له رواية كذا كما تقول أذنت له وسوغت له [١٧]، وقد رافقت بعض المفاهيم الخاصة بالإجازة والرواية مصطلحات التلمذة منها: حدثني، واخبرني، وأنبأني، وسمعت منه، وقرئ عليه وأنا اسمع [١٨].

وقد أعطى الشهيد الثاني تفسيرا علميا لمصطلح (الشيخ) بقوله : (أريد به التقدم في العلم، ورياسة الحديث، لكن لا يدل على التوثيق فقد تقدم فيه من ليس بثقة)[١٩].

وأعطت أراء الشهيد الثاني في التربية والتعليم تأسيسا لنظريات تربوية قد يعتمدها علماء التربية وعلم الاجتماع وعلم النفس في بحوثهم المعاصرة .

Abstract

The great Scholar zainul Dean bin Ali bin Ahmed Al- Tubai' Al-Amily, who was marttyrized in 966A.H/ 1558 .A.D, and who is ltnown as The second Martyr has on Educational and instructive Precepts Put them in his book and studies such as his (Munait al mureed fi Adab a Mufeed wal Mustafeed) and his (al- Diraya). The researcher finds in these two books the recepts of the second Martyr for his student focuses on the moral and educational aspect .he drew the students – scholers (shaikhs) relation's Principle by soying (the era's shaikhs should have more searching and practicing, and that they should praise his morals and researchs, and the student should be aware of those who has shallow education to avoid any mistake).

هوامش البحث

(١) الشهيد الثاني : منية المريد، ص ٩٥.
(٢) الخوانساري : روضات الجنات، ٣٦١/٣ .
(٣) الخوانساري : روضات الجنات، ٣٦١/٣ .
(٤) مغنية : مع علماء النجف الاشرف، ص ٤٥.
(٥) الشهيد الثاني : منية المريد، ص١١٤.
(٦) المصدر نفسة، ص ١٧١.
(٧) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية، ص ١٥٠.
(٨) الشهيد الثاني : منية المريد، ص ١١٤.
(٩) الخوانساري : روضات الجنات ٣٨٧/٣- ٣٨٠.
(١٠) الشهيد الثاني : منية المريد ،ص٩٢
(١١) الطهراني : الذريعة، ١/ ١٩٣.
(١٢) الخوانساري : روضات الجنات، ١٦١/٣ .
(١٣) محمد جابر آل صفا : تاريخ جبل عامل، ص ٢٣٨.
(١٤) مغنية : مع علماء النجف الاشرف، ص ٤٦.
(١٥) الخوانساري : روضات الجنات، ٣/ ٣٦١ .
(١٦) حسن الحكيم : الشيخ الطوسي، ١٠٠.
(١٧) الشهيد الثاني : الدراية، ص ٩٤.
(١٨) ابن شهر اشوب : مناقب ال ابي طالب، ١/ ٧ .
(١٩) الشهيد الثاني : الدراية، ص ٨٧ .

قائمة المصادر والمراجع

- الحكيم : حسن عيسى (الدكتور)

١. الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، مطبعة الآداب / النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٩٧٥ م .

- الخوانساري : محمد باقر الموسوي .

٢. روضات الجنات في العلماء والسادات، دار المعرفة / بيروت ١٩٧٤م .

- ابن شهر أشوب : رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨ هـ (

٣. مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية / النجف الاشرف ١٣٧٦هـ ١٩٥٦ م .

- الشهيد الثاني : زين الدين بن علي ألعاملي (ت ٩٦٦ هـ (

٤. الدراية، مطبعة النعمان / النجف الاشرف ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠ م .

٥. منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، مطبعة الغري / النجف الاشرف ١٣٦٩ هـ .

- الطهراني : محمد محسن (اغبزرك) (ت ١٣٨٩هـ)

٦. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مطبعة الغري / النجف الاشرف ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦ م.

- عبد الله فياض (الدكتور)

٧. تاريخ التربية عند الأمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، مطبعة اسعد / بغداد ١٩٧٢ م .

- محمد جابر آل صفا ألعاملي

٨. تاريخ جبل عامل، مطابع سميا / بيروت .

- مغنية : محمد جواد

٩. مع علماء النجف الاشرف، مطبعة نمنم / بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.